بعد عبور الحرب فى أكتوبر 1973
وبعد عبور السلام فى سبتمبر 1978

اشتمل الخطاب الهام والخطير ، الذى القاه الرئيس القائد محمد أنور السـادات علـى ثلاثة أجزاء هامة وخطيرة كان أولها حديثا عن جمال عبد الناصر ، الـزعيم ، المصـرى ، العربى ، العملاق ، وكان ثانيها اتفاقيتى كامب ديفيد ، وما حققنـاه لمصـر وللعـرب مـن إنجازات، وكان ثالثها وآخرها عن مراحل الزحف الثـورى ، المصـرى ، القـومى الـذى يستهدف ضمن ما يستهدفه تدعيم الديمقراطية ، وبناء السلام ، وتحقيق الرخاء .

فى الجزء الخاص من عبد الناصر – طيب الله ثراه – قال أنور السادات من بين مـا قاله : أن عبد الناصر" ، اختار بالتضحية والتحدى والتصدى وتأييد الشعب سبيلا وهدفا طريق الخلود والاستمرار وهى أن يسقط حكم الطغاة والمستعمرين وتعلو إرادة الكادحين والمكدودين وهى تغيير طريقة المجتمع سعيا إلى تكافؤ الفرصة ، وقضاء على جشع الإقطاع وتأكيدا لحق كل مواطن فى عرقه وفى رزقه وبناء المجتمع الذى مزقته الفوارق ، الظالمة وقست عليـه ، المرارات عبر أجيال وأجيال من حكم الغصب والاستغلال وكانت من بين مـا قالـه " أنـور السادات عن عبد الناصر : أن بعض الأصوات الشاردة الضالة فى أمتنا العربية وبكل الأسف والألم أقولها لم ترحم الرجل فى حياته بل كانت هذه الأصوات الشاردة الضالة تسـلط عليـه إذاعات التهكم والطعن والتجريح هذه الأصوات نفسها هى التى لم ترجمه أيضا بعد مماته بل تحاول اليوم ، أن تستثمر ذكراه بالكذب والضلال لكى تطعن الشـرف المصـرى ، والإرادة المصرية والوطنية المصرية وكانهم لم يكفهم ما قدمه شعب مصر ، من تضحيات تجـاوزت حياة آلاف من شهدائه ، الى قوت الملايين من أبنائه والذين سمعوا أنـور السـادات وهـو يتحدث عن ميل كفاحه ورفيق نضاله ، وعن الدور التاريخ الهام والخطير الذى لعبه من أجل استقلال مصر ، والأمة العربيبة ، ومن أجل قيامها بدورها كقوة دولية هائلة ، وجدوا فى أنور السادات بحق نموذجا رائعا للوفاء وللعرفان بجميل الرجل الذى قدم حياته فداء للشعب العربى فى مصر ، وللشعب العربى فى كل ارجاء الوطن العربى من المحيط الى الخليج .

وليست اجافى الحقيقة إذا ما قلت اننى على كثرة ما قرأت من كتب التـاريخ ، ومـا قرأت عن الشخصيات التاريخية الفذة ، لم أجد رجلا وفيا لذكرى زميله ، وصديقه ، بل وأخيه كما وجدت أنور السادات بالنسبة إلى جمال عبد الناصر ، طيب الله تراه – وفى الجزء الثانى من الخطاب التاريخى الهام تحدث الرئيس والقائد محمد أنور السادات حديثا مستفيضـا كلـه صدق وايمان ، وصراحة ووضوح عن اتفاقيتى كامب ديفيد والظروف والملابسـات ، التـى أدت الى توقيعهما وليست اعتقد أن هناك بعد أن تحدث الرئيس السادات ، بكل هذه الإفاضـة عن اتفاقيتى كامب ديفيد من لم يعرف جيدا المكاسب التاريخية التى حققتها كل مـن هـاتين الاتفاقيتين بالنسبة لمصر ، وفلسطين ، وللعرب ، اللهم الا أن يكون بقلبه ضر أو فـى نفسـه مرض .

وعن اتفاقيتى كامب ديفيد قال الرئيس السادات متسائلا : هل إذا اسـتطعنا اليـوم أن ننهى حكم الاحتلال العسكرى ، الإسرائيلى ، وان نحصل على حق الشعب الفلسطينى فـى أن يحكم نفسه بنفسه وان يقرر مصيره هل نقول لا ومن يقول لا ، يقولها أولئك الـذين يعـانون مرارة الاحتلال العسكرى أو مرارة الزج فى السجون والمعتقلات أولئك الذين يقتلون بأسلحة الاغتيالات والاتهامات المتبادلة بالخيانة تلك التى أدت بهم الى المجازر والمذابح ، التى سفك فيها الدم الفلسطينى والدم العربى هم الذين يقولون لا : على من يقع دم الفلسطينين فـى تـل الزعتر ، على من يقع دم ، الفلسطينين رجالا ، ونساء وأطفالا ، فى البناية ، التى نسفت فـى بيروت هل نقول لا لانسحاب القوات الإسرائيلية من الضفة والقطاع الى مواقـع ، محـددة لا تتجاوزها ؟ هل نقول لا لمفاوضات تحدد مستقبل الضفة الغربية والقطاع ، وتحدد الفلسـطينى على أساس القرارات الدولية ؟ هل نقول لا لعودة الفلسطينين النازحين لا لبداية صحيحة تمهد الطريق الصحيح ، للحل الشامل للمشكلة ؟

***

والذى لاشك فيه ولا جدال أن مناقشة اتفاقيتى كامب ديفيـد بهـذه الطريقـة السـهلة الواضحة ـ تضع أولئك الرافضين أو الرافضين كما يقول أستاذنا فكرى اباظة فـى خنـدق صغير . لا يستطيعون أبدا الخروج منه .

واستكمالا ، لما بدأناه فى الأسبوع الماضى من الالتجاء فى مناقشة النـزاع العربـى الاسرائيلى على طريقة أساتذة المحاسبة فى كليات التجارة فى جامعات العالم كلـه ، طريقـة

الاعتماد على الأرقام واتباع عمليات الجمع والطرح والضرب والقسـمة ، اسـتكمالا لتلـك الطريقة البسيطة السهلة يمكننا – إذا سمح آلهة الرفض –0 أن نتساءل منذ 15 مـايو 1948 وحتى توقيع اتفاقيتى كامب ديفيد ما الذى حققه المسجونين السياسيين فى سجون إسـرائيل ؟ . بل نقول أكثر من ذلك هل استطاعت الأمم المتحدة ومجلس الأمن أن ينفذا قرارا واحـدا مـن مئات القرارات ، التى اتخذاها طوال السنوات الماضية خاصة بالأرض العربية ، المحتلة بعد 1967 ؟. أو بسكان الأراضى العربية المحتلة بعد 1967 ؟ 0 ان إسرائيل هى التـى تكسـب دائما ونحن الذين نخسر دائما ونحن الذين نخسر دائما فهل إذا ما اتيحت لنا فرص الحصـول على بعض حقوقنا المغتصبة .. نقول كما قلنا عام 1948 نرفض الحصول على كل الحقـوق .. الكل وألا ، لا : لا .

وقبل أن ننتقل الى الجزء الثالث والأخر من الخطاب الهام ، والخطر ، الـذى القـاه الرئيس أنور السادات فى مجلس الشعب يوم الاثنين الماضى ، نود أن نؤكد ، على حقيقتين ، هامتين سبق أن أكدنا عليهما مرارا ، وتكرارا فى مقالاتنا التى نشرناها هنا فـى المصـور ، أولى هاتين الحقيقتين ان ما تحقق فى سبتمبر 1978 ، من توقيع ، اتفاقيتى كامب ديفيد لم يكن ليتحقق أبدا لو لم يقدنا أنور السادات لنعبر من الهزيمة ، الى النصر فـى 6 أكتـوبر 1973 فحرب أكتوبر ، هى التى مهدت لكل ذلك الذى حدث بعدها لا فى مصر وحدها ولا فى اليابان العربية ، وحسب وانما فى العالم كله ، أن حرب أكتوبر هى التى وقفـت المـد الصـهيونى التوسعى ، وحرب أكتوبر ، هى التى غيرت نظرة العالم ، الينا ونظرتنا إلى أنفسنا : حـرب أكتوبر هى التى نقلتنا من كوننا غنائم يختلف أو يتفق الخصوم والأعداء ، على أقسامها ، إلى كوننا القوة السادسة فى العالم التى لابد وان نشارك فى رسم مصيرها ولابد أن نعامل على كل المستويات الدولية ، حتى مع الدول الكبرى معاملة الند ، للند .

والحقيقة الثانية التى لابد وأن نركز عليها أنه حتى بعد انتصارنا الرائع ، المجيد فـى حرب أكتوبر ، العظيمة ، وبعد قضائنا التام ، على أسطورة العدو الـذى لا يقهـر وبعـد أن أصبحنا كعرب قوة دولية خطيرة ، يعمل لها العالم كله الف حساب . حتى بعد ذلك كله لم تكن حرب أكتوبر بكل آثارها ومنجزاتها الهامة والخطيرة على كل المستويات المحلية ، والقومية والدولية ، بقادرة على أن تحقق السلام ، فان السلام – وتلك حقيقة تاريخية يجـب أن نعيهـا تماما – لم يكن أبدا ، ليتحقق مهما بذلنا وبذل أصدقاؤنا وحلفاؤنا من جهود شـاقة ومضـنية

لتحقيقه ، لم يكن السلام أبدا ليتحقق لولا مبادرة السلام الشجاعة الجريئة ، العظيمة ، التى قام بها أنور السادات فى نوفمبر من العام الماضى ، فلولا حرب أكتوبر 1973 ولـولا مبـادرة السلام فى نوفمبر 1977 ما تحقق ابدا السلام لا فى كامب ديفيد ولا فى غير كامـب ديفيـد وانطلاقا من هاتين الحقيقتين الهامتين والخطيرتين نقول : ان الرجل ، العظيم ، العظيم حقا ، وصدقا ، أنور السادات ، الذى عبر بنا من الهزيمة الى النصر ، والذى عبر بنا من الحـرب إلى السلام ، بمشيئة الله ، وعنايته ورعايته ، وبتأييد الشعب قادر ، على أن يعبر بنا العبور، الأكبر ، العبور الذى ندعم فيه بكل مانمتلك من ايمان وقوة الديمقراطية .. ونبنى فيه بكل مـا نستطيع من جهود طاقات السلام ، ونحقق فيه بكل إمكاناتنا المادية والبشرية .. وهى إمكانات خطيرة ، الرخاء .

وعند الحديث عن مرحلة الزحف الوطنى القومى ، يأبى الرئيس السادات فى خطابـه الهام والخطير ، الذى ألقاه فى يوم الأثنين الماضى فى مجلس الشعب .. إلا أن يضع بعـض المبادئ الهامة والخطيرة ، التى نشير الى بعضها على سبيل المثال لا الحصر ، كما يقولـون – ومن بين تلك المبادئ مثلا :

أنه لا مكان فى هذه المرحلة للمتفرجين ، ولا للسلبيين ، ولا للذين لا يعملـون ولا يريـدون لغيرهم أن يعمل لا مكان فى هذه المرحلة لمن تقتصر أدوارهم على ترديد الحقد ، ومحاولـة الهدم وشق الصفوف .

أن هذه المرحلة التى نبدؤها اليوم تطالبنا جميعا – حكومة وشعبا – بالجهد الأكبر ، والعمـل المضاعف ، والعطاء المتجسد كما تطالبنا بالعمل المنظم والمدروس وبالصـبر وبالشـجاعة وبالالتزام الأمين بالواجب والمسئولية .

فى هذه المرحلة يجب أن يعمل الحاكمون والمحكومون فى إطار واضـح ومحـدد ، تلتزم به الحكومة ، وتشارك كل الطاقات فى تنفيذه فى جد وحماس ، على أن يراقب الشـعب هذا التنفيذ بروح التعاون ، وبكل اليقظة وبكل الشجاعة .

وإذا كانت هذه المرحلة تتطلب من الجميع العمل الشاق المضنى ، فان هذه المرحلـة أيضا تتطلب العمل على تعميق الديمقراطية ، وعلى الحيلولة دون التسلط ومحاولة فرض أية وصاية على الشعب .

ان مسئولية الأغلبية والأقلية معا فى مرحلة الزحف الوطنى والقومى هى أن يسحقا معا – بالرأى والرأى الآخر – كل العقبات التى تحول بيننا وبين البناء وبين الرخاء ان الغالبية فى هذه المرحلة من العمل الوطنى والقومى مطالبة بالالتزام الكامل بالديمقراطية الصحيحة التى تؤدى المسئولية .. إيمانا وعطاء ، وان تدعم حكومتها بالسلوك الاخلاقى والقدوة الحسنة والعمل المخلص الشريف فى ساحتها الشعبية وواجب أحزاب المعارضة أن تلتزم بالسلوك الاخلاقى بالمشاركة لا بالشهير ، بالرأى الصادق ، بالدواء ، لا بمجرد التهويل.

ان صحافتنا القومية والحزبية يجب أن تعطى العطاء كله للحق والحقيقة ، ويجب أن تلتزم التزاما كاملا بميثاق الشرف الصحفى ، ويجب ان تضع التقاليد الجديدة التى تساعد الزحف الشاق وتقومه من الأخطاء ، وتعبد له الطريق ، بحيث تكون الصحافة مرآة صادقة لمجتمعنا .. وصحافتنا فى هذه المرحلة من الزحف الوطنى والقومى ، يجب أن تتدبر ، وان تراجع النفس قبل أن يجرى القلم بالخير المثير أو العنوان الاخاذ ، أو الاتهام القاطع ، سواء أكان هذا ضعفاً أمام الزواج والشهرة ، أم مخاطبة للغرائز .

ان مهمتنا فى هذه المرحلة من الزحف الوطنى والقومى ، قد تبدو صعبة ، بل هى فى الحقيقة بالغة الصعوبة ، ولكن الأمل كبير ، ووحدة الأمة فى هذه المرحلة هى أشد لزوما من أى مراحل سابقة فى نضالنا .

ان تحقيق كل إجراءات السلام لن تكون نزهة فى أرض وردود وازهار .. أن أمامنا نضالا كبيرا ، وان وصولنا إلى أهدافنا القومية ، يقتضى أولا وأخيرا ، نهوضنا جميعا بمسئولياتنا الضخمة بأكبر جهد واغزر عرق .

والحقيقة التى يجب أن ننتبه إليها جميعا ، ونحن نبدا مسيرتنا الجديدة ، نحو تدعيم الديمقراطية ، ونحو بناء السلام ، ونحو تحقيق الرخاء .. يجب أن تكون وحدة واحدة ، لا مجال فيها ولاية فرقة أو انقسام ، ولا مكان فيها لتحقيق أية أهداف شخصية أو ذاتية على حساب الأهداف الكبرى لأمنا الحبيبة مصر .

أننا لا يمكن ابدا ، أن ننجح فى عبورنا الأكبر .. إلا إذا عبرنا فى البداية ما فى افئدتنا وقلوبنا من احتقاد وكراهية ..

أننا لا يمكن ابدا أن نحقق ما نامله ، وما نرتجيه من ديمقراطية كاملة ، ومـن سـلام دائم ، ومن رخاء كبير .. إذا إذا غيرنا ها فى أنفسنا .. والله سبحانه وتعالى لا يغير ما يقـوم حتى يغيروا ما بانفسهم .

أن عبور القنوات والسدود ، حقيقة من الأمور الشاقة والمضنية ، ولكن عبور الـنفس بما فى داخلها من أهداف شخصية ومطالب ذاتية ، ونوازع فردية ، مـن اصـعب الأمـور واشقها..

ان المرحلة الجديدة يجب أن تكون – حقا – جديدة فى كل شىء :

جديدة فى أساليبها ..

جديدة فى مناهجها ..

جديدة فى الأهداف الكبرى التى نريد تحقيقها ..

ان المرحلة الجديدة ، التى نبدؤها اليوم يجب أن تكون جديدة فى كل الاهداف الكبرى ، التـى نريد تحقيقها والتى يجب أن نعمل جميعا لتحقيقها .. بروح الأسرة الواحدة التى لا هدف لهـا الا اسعاد الجميع ، والا تحقيق الخير والرفاهية والسلام للجميع .

www.anwarsadat.org